فقيـــد

كان جريئا(١) لايعرف الخوف(٢) ، صبورا يستعذب الألم ، وكان مفطورا على حب التضحيـة واحتمـال الأذى . لا يعرف الناس عنه أنه أذعن لجـور ، أو أشفق مـن بطش ، أو تردد فى أداء واجب . وكان وفيا لأصدقائه ، لايفهم الحياة بغير الوفاء ، ولايقدر الرجولة بغير وفاء ، ولايضن بالنفس فى سبيل الوفاء . وكانت كل هذه الخصال سجيـة فيه ، لايتكلفها ، ولايأخذ نفسه بها أخذا ، وإنما تصدر عن نفس آثارها طبيعية حرة كما يصدر الضوء عن الشمس

فكان لهذا كله مثلا من أصدق الأمثال وأرقاها لحياة الرجل الكامل فى هذا العصر الذى كثرت فيه الفتن واشتدت فيه المحن ، وابتليت فيه أخلاق الناس ، وظهرت فيه الحاجة إلى الرجال الذين يستحقون هذا الاسم

---

(١) كوكب الشرق فى ٢٤ - ٧ - ١٩٣٣

(٢) هو الوطنى المخلص سينوت بك حنا . كان عضوا بالجمعية التشريعية سنة ١٩١٣ فنشأت بينه وبين سعد زغلول باشا صداقة ومودة . ولما قامت ثورة سنة ١٩١٩ انضم إلى الوفد ونفى مع سعد إلى سيشل . أما وفاؤه لخليفة سعد فحسبك من شواهده أنه وقاه بنفسه فى يوم المنصورة العصيب وكان شعاره « الوطنية ديننا والاستقلال حياتنا »

مات فى قصره بمصطفى باشا بالاسكندرية يوم ٢٣ - ٧ - ١٩٣٣ ثم نقل إلى داره بالجيزة ودفن بمدافن العائلة بالجبل الأحمر . وكانت جنازته مظاهرة وطنية رائعة ، فقد ترك الناس أعمالهم وساروا وراء العربة التى أقلت جثمانه وهم يذرفون الدمع الغزير . ورثاه محمد محمود عمار بقصيدة طويلة نذكر منها:

مامات سينوت وعنه مآثر ∴ تبقى على الدنيا إلى الميقات،
وطنيتى دينى ومصر ملتى ∴ للوفد واستقلال مصر حياتى
مامات سينوت وعنه مآثر ∴ يدعى بها أبدا زعيم صفات
سينوت مات وماله من أوبة ∴ ياقصر نح وابك العزيز وهات

[الكوكب فى ٢٦ - ٧ - ١٩٣٣

لم يكد يعمل فى الحياة العامة حتى ظهرت فيه هذه الخصال كأوضح مايمكن أن تظهر الخصال فعرفها الناس له وأحبوها فيه ولقبوه « النائب الجرىء » وكأنه قد عرف لشعور الناس هذا حقه ، وأنزل ثقة الناس فيه منزلتها فوضع شجاعته وجرأته ، ووضع احتماله وصبره وحبه للتضحية وحرصه على الوفاء موضع الامتحان .

توالى عليه الابتلاء ، وتعاقبت عليه الخطوب ، وازدحمت عليه الأحداث ، وأخذته الأهوال من كل مكان ، وخرج منها منيعا كما دخل فيها جريئا صبورا صادق العزم ، حسن البلاء ، وفيا للأصدقاء .

لم يرعه النفى وآلامه ، ولم يخفه البطش وأهواله ، ولم يفتنه الإغراء ولم تخدعه الحياة بما فيها من الوان الغرور ، ولم يتردد فى أن يستقبل الموت من دون صديقه ورئيسه ، ولم يتردد فى أن يصبر لألوان البأس التى عجز كثير من الناس عن أن يصبر لها فى هذه الأعوام الأخيرة

وكان فيما حدثنى عنه المحدثون الصادقون يألم أشد الألم فى أيامه الأخيره ، لا لأن المرض يؤذيه ويضنيه ، بل لأن المرض يحول بينه وبين مشاركة أصدقائه وزملائه فى احتمال أثقال الحياة والجهاد . وكان يشكو من ذلك قليلا ويألم لذلك كثيرا . وها هو ذا الآن قد قضى ولما يبلغ مع أصدقائه أقصى الطريق ، ولما ينته مع أصدقائه إلى غايات الجهاد ، ولما ير مع أصدقائه حرية مصر وقد ردت إلى مصر ، واستقلال مصر وقد خلص لمصر .

فهو أحد هؤلاء الذين يختارون لاحتمال أثقال المحن وآلامها واقتحام خطوبها وأهوالها ، فيلقون من ذلك أشد ما يلقاه الناس ثم يصرعون ولما يحققوا الأمل ويسقطون فى الميدان ولما يبلغوا الأمد . هؤلاء الأصفياء أحق الناس بالحب وأجدرهم بالبر ، وأولاهم بالإكبار ،لأنهم جاهدوا ولم يروا من الجهاد إلا آلامه ، ولم يذوقوا من ثمرات الصبر شيئا ، ثم قضوا وفى نفوسهم حسرات لا لأنهم لم يجنوا ثمرة الكد والجد ، بل لأن الموت يحول بينهم وبين المضى فى الكد والجد .

والشعوب تعرف لهؤلاء الناس حقهم وتفى لهم بما هم أهل له من الحب والإكبار والإعظام ، كأنها تشعر شعورا قويا بما كان لهم من حق فى أن يذوقوا لذة الفوز ، ويجنوا ثمرة النصر ، وبأن القضاء قد شط عليهم حين حال بينهم وبين ذلك ، فهى تريد أن تقدم إليهم من حبها وإكبارها ومن إعظامها وإجلالها مايعوضهم من ذلك بعض الشىء ، أوقل

إن الشعوب تشعر بما كان لهؤلاء العظماء من حق ، وبقسوة القضاء عليهم حين حال بينهم وبين هذا الحق ، وبأن هؤلاء العظماء الذين جاهدوا وصبروا ، لايبتغون جزاء ولاشكرا ، ولم يظفروا بجزاء ولاشكر هم المثل العليا حقا ، والقدوة الصالحة حقا ، هم الذين ينبغى أن يتأثرهم الجادون ، ويقتدى بهم العاملون ، هم الذين يجب أن تتخذهم الأمم مرآة صافية لخير مافيها من الخصال التى تعينها على الحياة وتمكنها من الرقى والعظمة وارتفاع الشأن . فهى لذلك تحبهم وتؤثرهم ، وهى لذلك تجلهم وتكبرهم ، وهى لذلك توارى أجسامهم فى التراب ، ولكنها تحفظ صورهم فى القلوب وتجرى ذكرهم على الألسنة وتحفظ لهم عهدا ، لاكالعهود ، وتضمن لهم أنها قد تنسى كل شىء ، وقد تنسى كل إنسان ولكن النسيان لن يجد إليهم سبيلا .

لقد قضى فقيد اليوم ففارق أصدقاء أعزاء ، ولحق بأصدقاء أعزاء فنفسه محزونة لفراق أصدقائه فى هذه الدار ، كما أن نفوس أصدقائه محزونة لفراقه — نفسه سعيدة للقاء أصدقائه فى تلك الدار كما أن نفوس أصدقائه سعيدة بلقائه . والشعب المصرى كله يشاركه ويشارك أصدقاءه أولئك وهؤلاء فى كل مايجدون من غبطة وفى كل مايشعرون به من رضا بقضاء الله واذعان لحكم الله ، وأمل فى عدل الله وفى حسن جزائه للصادقين المخلصين.

فى ذمة الله هؤلاء الأصفياء الأوفياء من قادة مصر وزعمائها الذين شقوا لها طريق المجد فى هذا العصر الحديث ، والذين شقوا لتسعد ، وماتوا لتحيا ، وألقوا فى قلوب أبنائها أن الفرد لاقيمة له بغير الجماعة ، وأن سعادة الأشخاص لغو إذا لم تكن مقترنة بسعادة الأمم وأن الوطنية الصادقة لاتعرف ضعفا ولامللا ، ولاهوادة ولامساومة ، وإنما هى قوة كلها ومضاء كلها ، واستقامة كلها ، وجد كلها وتضحية كلها .

فى ذمة الله هؤلاء الأصفياء الأوفياء الذين أكرهوا العالم الحديث على أن يؤمن لمصر بأنها بلد حى خليق بأرقى ماتطمع إليه الشعوب من الحياة .

نعم وعزاء لهؤلاء الأصفياء الأوفياء الذين يحتملون الآن آلام الحياة مضاعفة ، ويصبرون الآن وحدهم على فقد الأصدقاء ومشقة الجهاد فى سبيل هذا البلد الحزين .

عزاء لهؤلاء الأصفياء الذين شاركوا إخوانهم الراحلين فيما احتملوا من ألم ومالقوا من ضر . وكانوا يجدون فى مودتهم وحبهم ، وفى إخلاصهم ووفائهم عونا على الشدة وعزاء عن المكروه فأصبحوا الآن لايجدون هذا العون إلا فى الذكرى ولايجدون هذا العزاء إلا فى الصور الكريمة التى تملأ قلوبهم ونفوسهم من ثقة بالله وإيمان بالوطن .

نعم وعزاء لمصر عمن فقدت من الزعماء والقادة بمن بقى من الزعماء والقادة ، فإن زعماء مصر وقادتها سواء منهم من مضى ومن أقام لا يمثلون أشخاصا وأفرادا تعدو عليهم الاحداث وتعبث بهم الخطوب وإنما يمثلون فكرة هى أرق وأصفى وأبقى من أن تعدو عليها الأحداث أو تعبث بها الخطوب . وهى فكرة العزة المصرية ، والحرية المصرية والكرامة المصرية . ومادامت هذه الفكرة قد وجدت فى مصر ونمت وسيطرت على قلوب المصريين جميعا ، واستأثرت بنفوس المصريين جميعا بفضل هؤلاء الزعماء الصادقين ، من مضى ومن أقام ، فلن تذعن مصر لبأس ، ولن يجد اليأس إليها سبيلا .

إن فى رئيس الوفد وأصدقائه الأصفياء الأوفياء لعزاء أحسن العزاء لمن فقدت مصر من قادتها وزعمائها . وإن فى حب مصر الصادق ، ووفاء مصر الدائم وولاء مصر المتصل لعزاء لرئيس الوفد وأصدقائه عن هذه المحن التى تتصل عليهم فلا تزيدهم إلا ثقة وإيمانا ويقينا . وإن فى هذا كله لعزاء لأسرة الفقيد العظيم ونفس الراحل الكريم .

فليمنح الله مصر أجمل الصبر وليوفق الله مصر إلى حسن الاقتداء بفقيدها العظيم وأصدقائه الذين سبقوه إلى دار الخلود